نعم الزواج / زواج المواطنة بالهوية

إكمالا للنص فكذلك بئيس الطلاق طلاق المواطنة للهوية ، لأن الهوية تعني تفاعل الارض والشعب ، والأرض هي المسكن والمزرعة والمتجر والجوار والجغرافيا والشعب هو التاريخ الذي قوامه اللسان والمعتقد والتقاليد والثقافة . وتقوم علاقة تعقادية مثلها ومثل عقد الزواج ، مابين الارض " الجغرافيا" والشعب " التاريخ وهذه العلاقة التعاقدية المرعية تشهد عليها حضارة الدولة السودانية الممتدة من دولة كوش ومروي وعلوة وسلطنة دارفور واخواتها والتي أقامت حضارة كرمة ونبتة وسوبا وإنتهاء بالطبعة الأخيرة في تجلياتها الإسلامية والحداثية.

ومر الزواج السوداني بلحظات الهبوط والصعود من التوحيد إلي تقديس الملوك والثقافة الجنائزية برمزياتها الأهرامية في جبانة الكرو والبركل والبجراوية إلي الطقوس الجائرة مثل القتل الطقسي وتتويج الملوك وسفك دماء اخوتهم في بعض الصفحات المطلوبة من تاريخ السلطنة السنارية .

ومرت على أهل السودان ظروف ثنائية الهوية في المرحلة الاستعمارية ، حين أصبح دين الدولة ولسانها ومن ثم هويتها على تناقض فاضح مع الهوية المجتمعية في الحقبة الاستعمارية وحقبة ما بعد الاستعمار ويمكن تباين بعض مظاهر هذه الثنائية التعيسة في الآتي:-

- الحقبة الاستعمارية 1899- 1956
- لسان الدولة الرسمي : اللغة والإنجليزية
- لسان التعليم : الإنجليزية للمعارف الحديثة والعربية لغيرها
- نظم الإدارة في الدولة : النظم واللوائح والقوانين الأستعمارية
- نظم العسكرية تشعباتها : المستمدة من التجربة وتقاليد الإمبراطورية
- القوانين الجنائية والمدنية: مستمدة من قوانين الإمبراطورية
- قوانين الاحوال الشخصية المذهب الحنفي المستمدة من التجربة العثمانية .

وفي المقابل كانت الهوية المجتمعية تقوم أساسا على الثقافة الإسلامية واللسان العربي والتقاليد السودانية مثل المعتقدات الإفريقية كالكجور وألزار والخفاض والشلوخ والولاء القبلي وأدى التباين مابينهوية الدولة والهوية المجتمعية إلي طلاق وصراع وحروب " ودحبوبة " اللواء

الأبيض ، حركة 24 عبدالفضيل الماظ ، مؤتمر الخريجين إلي رفع العلم في 1/1/1956م وانعتاق السودان من الاستعمار ورمزياتها.

وككل طلاق بائن ، فإن بعض هداياه وموروثاتها تبقي حتى في ظل الزواج الجديد ، زواج المجتمعية السودانية بدولته الجديدة التي احتفظت ببعض هدايا الزواج القسري القديم مثل المعارف الحديثة واللغة الإنجليزية ونظم الإدارة والدولة ، ولكن كذلك في ظل الزواج الجديد تساقطت الأوراق الذابلة أو المضرة بشجرة الحضارة السودانية فأصبحت اللغة العربية هي لغة الدولة الرسمية مع الاحتفاظ بالإنجليزية في التعليم وتم تحريم الخمور المستوردة بالتدريج وتم تحرير المحاكم من تقاليد ثقافة الأمبراطورية وروحها وردها إلي رافدها الإسلامي / والسوداني . وتم الغاء تراخيص امتهان جسم المرأة وروحها بالدعارة ، كما تم تحرير المجتمع من أندية الميسر والقمار والسعي في أعادة تأثيث بين الزوجية على هدي مطلوبات الثقافة السودانية .

ولكن لم يك كل السعى نجاحا ، لأن فيه الباطل والحق ، وفيه الذي تم الإسراع به دون مراعاة لقدرات المجتمع وما فيه من علل وأمراض وفيه ما فيه من الفشل ، على الأخص في باب تحرير المرأة . والمرأة السودانية كانت ضحية للتقاليد السودانية القائمة على مفاصلتها ودونيتها وتعريضها لألوان من العذاب المتمثل في حرمانها من التعليم وتشويه جسمها بالخفاض والشلوخ ودق الشلوفة وابتزاز روحها ببيت الطاعة والزواج القسري والزار وبناء عقلها على الشعوذة والخرافة. كما كانت ضحية للحداثة التي ارادت تجريدها من كرامتها بالاختلاط الجائر وجعلها باسم الحرية متاعا للرجل ومنحها الترخيص للإتجار بجسمها وشرفها وعرضها .

وفي إطار هذا التفاعل والمدافعة والقراءت المختلفة للهوية والمواطنة برزت بين المثقفين السودانيين والقائمين على أمر الشأن العام مساجلات وصراعات في أمر تجسير الهوة مابين هوية المجتمع والدولة– ولعل ابرز هذه المدارس هي:

- المدرسة التقليدية التي لم تنتبه للتعارض القائم بين هوية الدولة والهوية المجتمعية.
- المدرسة العلمانية المتحررة التي ترى الأبقاء على علمانية الدولة ولكن لونتها أحيانا بثقافات المادية الإشتراكية أو الحفاظ على بنية ثقافة الأمبراطورية .

- المدرسية الإسلامية بنافذتيها التقليدية والمتحررة ومايبدو لي أن كل من التيارات الثلاث طبع زواج الهوية والمواطنة بشيء من طابعه فمثلا تيار ثقافة الإمبراطورية ماتزال سماته مبسوطة في ظل الدولة الإدارية وهياكلها العسكرية وثقافتها الاقتصادية مع تعديلات او تشوهات هنا وهناك ومايزال وارد فكر صراع الطبقات توجد نواة في النقابات والإتحادات والعصبيات الجهوية وحروب الأطراف .

ولكن مايبدو لي أن الكسب الأكبر في زواج الهوية والمواطنة سيكون من كسب رواد الإصلاح والتجديد الذين يريدونها إسلامية متحررة ، وكلمة تحرير كلمة مباركة وطيبة لأنها مفردة قرآنية على عكس ما أنقدح في نفوس المتسلقة وأهل التقليد .

فهاهي بنت عمران تدعو أن يجعل مافي بطنها محررا (إذا قالت إني نذرت لك مافي بطني محررا " أي محررة من سلطان الماديات والتقاليد فهي خالصة للعبادة والمشيخة ، ومن اجل العبادات فك رقبة أو تحرير رقبة " سورة النساء آية 92) وفي التحرير تحرير لعقل المرأة من الشعوذة والدجل . والثقافة الإسلامية تحرر عقل المرأة من الجهل بالتعليم والعمل وتحرر جسمها من تغيير خلق الله سواء بالخفاض أو الحبس أو العزل .

ومن مطلوبات حركة زواج المواطنة بالهوية أعمال كل قوانين تحرير السودان من منقصات الحرية وتحريره من أجواء الاستبداديين. لا ولاية إلاولاية سيادة القانون . وتحرير الدولة من كل قبضة، إلا قبضة الدفاع عن الأرض والعرض ، دون استبداد ودون خلط للأوراق حيث يصبح المواطن سيدا في بلده ، متمتعا بكل الحصانات وممكنا من حرية الاعتقاد والتعبير والتنظيم والتفويض في حدود سيادة القانون . وفي هذا الإطار كان على رواد التجديد والإصلاح ، تشجيع زواج الهوية السودانية بالحداثة والتقانة ومطلوبات العصرنة بدلا من زواج القهر وسفك الدماء – متي استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا .

أ,د, حسن مكي محمد أحمد